(٤٨)

قريش تستعد وتجمع الأموال لمهاجمة المسلمين بالمدينة

﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الشورى الآية ٢٣].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [سورة البقرة الآية ٢٠٤].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة غافر الآية ٥٦].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآية ٣٦].

* * *

«المدينة تموج بترهات وأباطيل وتزييف المنافقين.. كلما تقدم الإسلام زادهم تقدمه يأسًا وقنوطًا وخبالاً.. يدسون للأنصار أن يسألوا النبى عليه السلام أن يدعو ربه سبحانه وتعالى أن يرزقهم مالاً.. ويستثيرهم آخرون فيحرضونهم قائلين إنما ينحاز ويقاتل عن أهل بيته، لا يعنيه أمركم ولا يأبه لكم.. لا يتركون حتى الفقراء والمساكين من أهل الصفّة: يسعون إليهم لتخريب نفوسهم مزينين لهم أن يطلبوا الدنيا فلا ضمان ولا شىء سواها!!».

«النبى - ﷺ - فى خلوته يعجب لأمر النفاق والمنافقين وإصرارهم على الباطل والغواية، وسعيهم الذى لا ينى ولا يهدأ لتخريب النفوس وتعكير صفاء المؤمنين.. يدعو عليه السلام ربه ويناجيه، ويتبتل إليه، ضارعًا أن يقى سبحانه أمة الإسلام مما يحاك حولها من أباطيل وأضاليل.. يتغشاه جبريل عليه السلام، فيوحى إليه من آيات ربه..»

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾

وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الشورى الآيات من ٢٣ – ٢٧].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى – ﷺ – جالس بين صحابته من المهاجرين والأنصار وعامة المسلمين.. يحدثهم ويفقههم فى الدين..».

أحدهم : زدنا يا رسول الله..

النبى : كان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود.. إلى الناس كافة.. وجعلت لى الأرض طيبة طهورًا ومسجدًا، فأينما رجل أدركته الصلاة، صلى حيث كان.

آخر : أوصنا يا رسول الله ..

النبى : من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة.. وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم.. وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء.. وإن فضل العالم على العابد كفضل ليلة البدر على سائر الكواكب.. وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهمًا.. وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر..

* * *

«المدينة، يتحادث المنافقون شامتين مادحين الأخنس بن شريق حليف بنى زهرة.. يعجبهم فيه أنه ذهب إلى النبى عليه السلام - كاذبًا ومخادعًا - فى قلبه نفاق، وعلى لسانه حلو الكلام.. يقول للنبى عليه السلام «إنما جئت أريد الإسلام والله يعلم أنى لصادق».. أحسن معسول الكلام حتى أعجب به رسول الله - ﷺ - وصدقه.. يشمت المنافقون فى هذا التصديق، لأن الرجل جاء كاذبًا ومنافقًا.. ما كاد يمضى من أمام النبى - ﷺ - حتى غلبه كفره وعدوانه.. مَرَّ فى طريقه بزرع وحمر لقوم من المسلمين، فما كان منه إلا أن أحرق الزرع وعقر الحمر.. يتعامى المنافقون عما فى صنيعه من خسة وغدر، ويعجبهم منه خداعه ومكره، ويشمتون فى تصديق المسلمين لظاهر ما أبداه لهم..».

«المدينة تموج بنزعات وشماتات المنافقين.. يتسقطون ما يعينهم على إشفاء غليلهم وإرواء غيظهم الذى لا يرتوى.. ها هم ينتهزون فرصة إصابة إحدى السرايا.. كان فيها عاصم ومرثد، ليبثوا سمومهم ويظهروا ما طويت عليه صدورهم من غل وكراهة ومقت وحقد.. يجتمعون فى مجلس لهم بحى من أحياء المدينة يتبادلون شماتاتهم وأحقادهم فيمن أصيبوا فى سرية المسلمين..».

بعض المنافقين : (بشـماتة) يا ويح هـؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكـذا!!
لا هم قعدوا فى أهليهم ولا هم أدوا رسالة صاحبهم!!
«يتضاحكون فى فرح وشماتة!!»

* * *

«النبـى - ﷺ - فى خلوتـه يتعبد ويتحنث
ويناجـى ربه.. يتنزل عليه الروح الأمين فيوحى
إليه من كلمات رب العالمين..».

جبريل : (يتلـو على محمـد) ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [سورة البقرة الآيات من ٢٠٤ - ٢٠٦].

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبـى عليه السلام.. فى بعض من أصحابه بحى
مـن أحياء المدينـة.. يمر بهم شـاب فتى جلد
فيتعجبون من فتوته وقوته».

صحابى : (وهو يُشير إلى الشاب سائلاً) من هذا الشاب؟!

صحابى ثان : (مستفسـرًا) تقصد هذا الشاب الفتى الذى يتجه إلى ظاهر المدينة؟..

صحابى ثالث : كان يسألنى عن موضع يحتطب فيه!..

الصحابى الأول : تبدو عليه الفتوة والنشاط..

الصحابى الثانى : ويحه.. لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله!!!

الصحابى الثالث : إنه ليكون سدادًا لنحور العدو بفتوته وهمته..

الصحابى الأول : لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله!!!!

النبى : (مراجعًا أصحابه) لا تقولوا هذا..

الصحابة : (مرددين فى دهشة) لا نقل هذا؟!.. أليس أنفع له وللإسلام أن يكون جلده هذا فى سبيل الله؟

النبى : لا تقولوا هذا.. فإنه إن كان خرج يسعى على أولاده صغارًا فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين ليغنيهم ويكفيهم فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله.. إن الله ليحب العبد المحترف ويكره العبد البطال..

* * *

«المدينة، واليهود لا يملّون من حديث تغيير قبلة المسلمين.. يملأون مجالسهم ومنتدياتهم وأحاديثهم إلى المنافقين بما تحضهم عليه أوهامهم المريضة لبث الشكوك وإثارة الأقاويل حول تغيير القبلة.. يطعنون فى الإسلام ورسوله..».

اليهود : أرأيتم.. إن محمدًا يأمر أصحابه بشىء ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه.. بالأمس كان يصلى بهم إلى بيت المقدس، واليوم يخالف ما جرى عليه ويأمرهم بالصلاة إلى الكعبة.. يقول القول اليوم ويعدل عنه غدًا!

بعضهم : مـا هـذا كلام الله.. ما هذا القرآن إلا كلام محمد.. يقوله من تلقاء نفسه.. لهذا يناقض بعضه بعضًا!!

«النبـى - ﷺ - فى خلوته يتعبد ويتهجد، يوافيه جبريل عليه السلام فيلقنه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سـورة البقـرة الآيتان ١٠٦، ١٠٧].

(يرتفع الوحى)

* * *

«المسـجد النبوى.. النبى - ﷺ - وقد خرج إلى المسـلمين بعد نزول الوحـى.. يتلو عليهم ما تنزل عليه من رب العالمين.. المهاجرون يتذاكرون ما كان يحدث من مشـركى قريش بمكة.. كانوا يقولـون بأمس مـا تقولـه اليهود اليـوم.. وإن المهاجرين ليذكـرون ما تنزل بمكة فى ذلك مـن سـورة النحل.. ويذكرون قول الحق سـبحانه - تبارك وتعالى عما يصفون: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ

﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة النحل الآيات من ١٠١ - ١٠٥].

* * *

«النبى - ﷺ - ببيته بحجرة عائشة رضى الله عنها.. الحجرة ضيقة عارية أو تكاد من الأثاث.. مبنية باللبن ومسقوفة بسعف النخيل.. يكاد الواقف أن تمس يده سقفها.. ليس فيها سوى حصير مفروش على الأرض، وسرير مشدود بالحبال، وأدوات من الفخار للطعام والشراب والوضوء.. تستأذن على النبى امرأة عجوز.. لا يتبين عليه السلام ملامحها..».

النبى : (متسائلاً فى رفق) من أنت يا أمه؟

العجوز : جثامة المزنية..

«يتهلل وجه النبى عليه السلام ويبش لها مرحبًا..».

النبى : أنت حسانة؟

العجوز : أجل يا رسول الله..

النبى : (فى مودة ورفق وحنو) كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟

العجوز : بأبى أنت وأمى يا رسول الله.. نحن فى خير حال..

«يمضى الرحمة المهداة فى برها وإكرام وفادتها، حتى انصرفت مشيعة ببره وعطفه ودعائه عليه السلام..».

عائشة : (مداعبة) يا رسول الله.. تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟!

النبى : إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان.

* * *

«يهود المدينة على جدالهم وسفسطتهم.. يجادلون فى الله وفى آيات الله بغير علم.. يذكرون الدجال فيقولون: يكون منا فى آخر الزمان.. يعظمون أمره، ويسبغون عليه من الصفات والأعمال ما يستخرجونه من الخيالات والأوهام.. يجادلون بالباطل، وما يحملهم على ذلك إلا التكبر والتعاظم والتطلع إلى أن تكون الرياسة والنبوة فيهم.. يبثون جدالهم وترهاتهم إلى الأذهان قاصدين البغبغة والبلبلة وتشتيت إيمان الناس وصرفهم بالمجادلة عن نور الحق المبين..».

«النبى - ﷺ - فى خلوته وتعبده وتحنثه، يتنزل عليه الروح الأمين، ليوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا

هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة غافر الآيتان ٥٦، ٥٧].

(يرتفع الوحى)

* * *

«بيت النبى - ﷺ - بالمدينة.. أبو بكر يدخل فيفجأه أن صوت ابنته عائشة قد علا وهى تحادث النبى عليه السلام.. أبو بكر لا يستطيع أن يكتم غضبه..».

أبو بكر : (لعائشة غاضبًا) أترفعين صوتك فوق صوت رسول الله؟

«تستعبر عائشة، فتلزم الصمت آسفة.. يجلس إليهما أبو بكر..».

النبى : (لعائشة متبسطًا) قد منعت أباك، وكان يريد أذاك!

«يتضاحكان فى مودة ومحبة.. يبدو أن بينهما ما يضحكان من أجله..».

أبو بكر : (مستطلعًا) أشركانى فى سروركما كما أشركتمانى فى غضبكما.

«يتغشى الجميع نفحات الرضا والغبطة والسرور..».

* * *

«المدينة، المسلمون تتزايد أشواقهم إلى قصص القرآن الحكيم.. يلمون بالرحمة المهداة فى

المسجد النبوى يسألونه أن يرطب قلوبهم بقصص الذكر الحكيم..».

المسلمون : يا رسول الله، لو قصصت علينا..

«النبى - ﷺ - فى خلوته وتعبده يناجى ربه ويتضرع إليه.. يلقنه جبريل عليه السلام، من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [سورة يوسف الآيات من ١ - ٣].

(يرتفع الوحى)

* * *

«تتوالى الأيام، ويتوالى معها نزول الذكر الحكيم.. يتلقاه الرحمة المهداة عليه السلام.. لا يكاد يستقر فى وجدانه، حتى يخرج به إلى المسلمين يقص عليهم أحسن القصص بما أوحاه ربه بهذا القرآن..».

«مضارب بنى تَميم.. قيلة بنت مخرمة التميمية فى بداية إسلام قومها، تشكو إلى بعض صويحباتها ما هى فيه من شظف هى وأولادها منذ توفى عنهم زوجها حبيب بن أزهر واستولى شقيقه أثوب بن أزهر على أموال البنات اليتامى، واختص نفسه بكل ما تركه أخوه.. فلما

طالبتـــه بحقوق اليتامى صمـــم على انتزاع بناتها منهـــا!! إنها لا تدرى مـــاذا تفعل، لم ينصفهـا منه شـــقيقها أكثم بن صيفـــى.. لم يرق قلبه هو الآخـــر للبنات، أو لعله خشـــى أن يغضب بنى أزهر أو يحاجيه أحد مستقبلاً بمثل ما تروم قيلة أن يحاجـــى به أثوب بن أزهر الذى اغتال أموال اليتيمات.. إنها حديثة عهد بالإســـلام، ولكنها تسمع أن الإسلام ينصف اليتامـى صغـارًا ذكورًا أو إناثًا.. صويحباتها يشرن عليها بأن تشكو إلى الرســـول ﷺ، ولكن أين لها برسول الله وهى بعيـــد فى مضارب قبيلتها؟.. إنها لفى حيرة من أمرها.. صويحباتها يشجعنها، وفؤادها قد تعلق بالأمل أن تلقى الرحمـــة المهداة ﷺ فينصفها وبناتهـــا من تغول عمهـــن وطمعه الذى يغتال به ميراث اليتيمات!!».

«بعـد أيام، وقد أزمعت أمرها على شد الرحال إلى الرحمـــة المهداة – ﷺ – تتعلق بها صغيرتها جويرية.. صغرى بناتها ويقال لها «الحديباء».. تخرج بها تحت ســـتر الليـــل على جمل ذلول.. تبـــث بعـــض العيـــون إلى أثوب بن أزهـــر نبـــأ خروجها فينطلق بســـيفه فـــى أثرها.. يلحق بها فى بعض الطريق شـــاهرًا ســـيفه.. يبادر بضرب البعير بالســـيف ليخيفها، ويقبـــل عليها هائجًا مغيظًا!!».

أثوب بن أزهر : (فى غضب جامح) ألقى إلىّ بابنة أخى!

قيلة بنت مخرمة : (مفزوعة والصغيرة تبكى فزعًا) ابنتى!!

أثوب : قلت لك ألقى إلىّ بابنة أخى، وإلا نهشتك بسيفى!!

«قيلة تعطيه الصغيرة فى التياع وتسليم.. تخشى أن يؤذيهما.. أثوب يأخذ الصغيرة المفزوعة الباكية وينطلق بها إلى حال سبيله مطمئنًا إلى أنه لا بأس عليه ما دامت اليتيمات فى حجره!!!».

* * *

«مضارب بنى شيبان.. قيلة وقد لحقت بدار أخت لها ناكح فى بنى شيبان.. تنزل بضيافتها تنظر كيف يمكن أن تستأنف مقصدها إلى نبى الرحمة عليه السلام..».

«قيلة نائمة، وقد أرخى الليل سدوله، وهدأت الدار.. تسمع بغير قصد حديثًا بين أختها وزوجها القادم من سامر كان فيه».

زوج الأخت : (هامسًا لزوجه أخت قيلة) لقد وجدت لأختك «قيلة» صاحب صدق يأخذها إلى المدينة.

الأخت : (هامسةً) من هو؟!

زوج الأخت : حريب بن حسان الشيبانى.. وافد بكر بن وائل..

الأخت : (بقلق) الويل لى! لا تخبر بهذا أختى فتذهب مع أخى بكر بن وائل بين سمع الأرض وبصرها!.. ليس معها من قومها رجل!

زوج الأخت : لا ذكرته لها!

الأخت : وأنا غير ذاكرة لها!

* * *

«قيلة.. فى هدأة الليل، وقد سمعت ما أرادت لها الأقدار أن تسمعه.. تجمع رأيها أن تنشد حريبًا بن حسان لتسأله أن تذهب برفقته إلى النبى بالمدينة..تأخذ بعيرها وتضرب فى الصحراء إلى الطريق باحثة عن الرجل.. تلحق به ببعض الطريق».

قيلة : حدست أنك حريب بن حسان الشيبانى!

حريب : إننى هو يرحمك الله.. فما تريدين؟..

قيلة : أقصد رسول الله محمد بن عبد الله بالمدينة، وأخشى على نفسى غوائل الطريق!! (مناشدة فى إشفاق) فهل تعطينى الصحبة، وتحفظنى بما تحفظ به أهلك؟

حريب : نعم وكرامة..

«حريب ينيخ راحلته، وينظر فى بعير ومتاع قَيْلة.. يدبر الأمر ليبدآ رحلتهما معًا إلى المدينة حيث الرحمة المهداة – ﷺ..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة.. المسلمون يصلون وراء النبى صلاة الغداة.. لا يكاد الرجل يرى من بجواره من الظلمة فى آخر الليل مع بشائر الفجر.. تدخل قيلة على عجل تريد أن تلحق

بالصلاة، فتصطف وسط الرجال.. ينتبه إليها جارها..».

جارها فى الصف : (هامسًا) امرأة أنت أم رجل؟

قيلة : بل امرأة.. من بنى تميم..

الجار : فارجعى للخلف وسط النساء..

«تبادر قيلة، فترجع للخلف.. تصطف فى صفوف النساء فرحة مستبشرة بالصلاة خلف رسول الله..».

«المسجد النبوى، بعد الصلاة وقد تسلل ضوء الشمس يغمر المسجد.. قيلة تتلمس النبى ﷺ، يشدها إلى مكانه تجمع الناس من حوله.. تقترب فتسمع رجلاً يلقى عليه بتحية الإسلام.. تنظر فترى النبى ﷺ جالسًا القرفصاء وبيده سعف نخلة.. ما تكاد تراه وترى التخشع فى مجلسه، حتى تأخذها رعدة تلم بجميع أطرافها من هيبة النبى ﷺ.. يلاحظها أحد الصحابة..».

الصحابى : (للنبى) أرعدت المسكينة!

النبى : (لقيلة مطمئنًا فى رفق) يا مسكينة.. عليك بالسكينة..

«قيلة ما تكاد تسمع طمأنة النبى ﷺ حتى تفىء إلى الهدوء والسكينة، ويفرخ روعها.. تتهيأ للتقدم بين يدى الرسول.. يسبقها إليه حريب بن حسان».

حريب بن حسان : (للنبى) جئت يا نبى الله أبايعك وقومى على الإسلام.. أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله.

قيلة : يـا نبـى الله، إنى امرأة من تميـم.. قيلة بنت مخرمة.. أسلمت وجئتك أشهد أمامك أنه لا إلـه إلا الله، وأنك رسول الله..

حريب : (للنبى) ناشـدتك يا رسول الله أن تكتب بيننا وبين بنى تميـم «بالدهنـاء» (أرض فى ديار بنى تميم مـن أكثر بلاد العرب كلأً).. لا يجاوزها من تميم إلينا إلا مسافر أو مجاور..

النبى : (مناديًا على شاب من أصحابه) اكتب له ولقومه بالدهناء..

قيلة : (معترضة) يا رسـول الله، إنه لم يسـألك السوية فى هذه الأرض!

حريب : وما لك وهذه الأرض؟!

قيلة : (متشـجعة) يا نبى الله.. هى وطنى وداري.. هذه الأرض هـى مقيد الجمال ومرعى الغنم، ونسـاء تميم وأبناؤها وراء ذلك.. إنه يطلب له ولقومه كلأ بنى تميم ومرعى أغنامها!!

«يبدو على ملامح حريب أن اعتراض قيلة قد صادف محله.. ينعقد لسـانه ويسـقط فى يده.. تلمح البديهة النبوية جلية الأمر فى لحظة..».

النبى : (للصحابـى) أمسك.. صدقت المسكينة.. المسلم أخو المسلم، يسعهمـا الماء والشجـر ويتعاونـان على الفتّان (الشيطان).

«حريب بن حسان يتغشاه الإحباط.. يضرب يـدًا بيد.. ينظـر إلى قيلة عاتبًـا، فقد صحبها وصانها فى صحبتها إلى رسـول الله.. أيكون هذا جزاؤه؟!!».

حريب : (لقيلـة معاتبًـا) كنت أنـا وأنت كما قـال الأول: حتفها بظلفها يحترصان..

قيلة : مـا أنكرت فضلك.. كنت والله دليلا فى الظلماء.. جوادًا كريمًا عفيفـًا عـن الرفيقة صاحب صدق حتـى قدمنا علـى رسـول الله.. (مسـتأنفة) ولكن لا تلمنى أن أسأل حظى إذا سألت حظك!

حريب : وما حظك فى الدهناء لا أبا لك؟!

قيلة : مقيد جملى تسأله لجمل امرأتك.. هذه الأرض كلأ قومى ومرتع غنمنا!

حريب : (فـى إسماح) لا جرم. إنى أشـهد رسول الله أنى لا أزال أخًا ما حييت إذ أثنيت هذا علىّ عنده!

قيلة : أما إذ بدأتها فلن أضيعها..

«المسلمون يكبرون..»

* * *

«المدينـة، والنـاس فى الزكاة مـا بين مقبل ومتحفظ.. لا تزال بعض النفوس ضنينة بمالهـا.. وآخـرون يعطـون الزكـاة ولا يزيدون! لا يعطون من حصادهم شـيئًا سـوى الزكاة! على خلاف هـؤلاء وأولاء أنـاس صفَـت أرواحهـم وملكهم جودهـم وكرمهـم.. لا يكتفون بمـا فرضه الله، بل يزيدون، وأحيانًا يبالغون.. يتحدث المسلمون بالمدينـة عن ثابت بن قيس بـن شماس.. قطع وجنى ثمار ماله مـن نخيل، ووقف وسط أشجار نخيله شاكرًا حامدًا إلى الله تعالى ما أفاء به عليه من خيرات..».

ثابت بن قيس بن شماس : لا يأتينى اليوم أحد إلا أطعمته..

«يتوافد إليه الناس.. يطعم الدانى والقاصى.. أخذ يطعم الناس من ثمار النخيل حتى أمسى، فلما انحدرت الشمس إلى مغربها، نظر فلم يجد لديه ثمرة تقيمه أو تقيم أسرته..».

* * *

«النبى - ﷺ - فى تحنثه وتعبده، يوافيه جبريل عليه السلام، فيوحى إليه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [سورة الأنعام الآية ١٤١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى - ﷺ - وسط المسلمين بالمسجد النبوى بالمدينة.. حوله عمرو بن الجموح شيخ كبير ذو مال كثير - وغيره من الأنصار، ومن المهاجرين وعامة المسلمين.. يسألونه فيما يدق عليهم من أمر دينهم.. أى شىء ينفقون من أموالهم فيتصدقون به، وعلى من ينفقونه فيما ينفقون أو يتصدقون به.. وفى أى باب من أبواب الإنفاق والمعروف..».

«النبى – ﷺ – يتغشاه الوحى، فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [سورة البقرة الآية ٢١٥].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة.. لا تزال تموج بين طواغيت قريش شهوة الانتقام من خيبتهم وانهزامهم وخسائرهم يوم بدر.. لا يفتأ أبو سفيان منذ قدم بالعير وتجنب المرور ببدر، يحرض القرشيين على الثأر، ويقسم أنه لن يقرب النساء أو يغتسل من جنابة حتى تثأر قريش وتنال من المسلمين!! أسرع بالإغارة التى شنها على تخوم المدينة ليتحلل من قسمه، ولكن حصادها جاء كالهشيم.. سرعان ما تجاوزته الأحداث، وغطى عليه إقبال الناس كل يوم على الإسلام.. إنه ليريد أن تدبر قريش أمرها، وأن تتخذ عدتها.. لا يألو جهدًا لإثارة الناس ودعوتهم إلى القتال لغزو النبى فى المدينة.. يحذو حذوه رؤوس الشرك من القرشيين.. يمشى عبد الله بن أبى ربيعة، وعكرمة بن أبى جهل، وصفوان ابن أمية فى رجال من قريش أصيب أبناؤهم أو

آباؤهم أو ذوو قرباهم قاصدين أبا سفيان ليلتئموا وإياه فيما يسعى إليه من تحريض.. يتبادلون التنادى بالثأر!!».

«منتدى قريش بظاهر الكعبة، وقد التأم شملهم..».

عكرمة وصفوان : يا معشر قريش، إن محمدًا قد وتركم وقتل خياركم!!

عبد الله بن أبى ربيعة : (مكملاً) فأعينونا بالمال على حربه، لعلنا أن ندرك منه ثأرًا بمن أصيب منا!

قرشى : وما حاجتنا إلى المال؟

أبو سفيان : ينبغى أن نعد للأمر عدته، وأن نجيش العرب من الآن لقتال محمد وغزوه..

قرشى آخر : (مقترحًا) إن الأحباش أهل قتال.. ماذا لو استأجرنا عددًا من الأحباش من بنى كنانة ليشاركونا فى غزو محمد؟!

أبو سفيان : (مستحسنًا) نعم الرأى!.. وقد رصدت أربعين أوقية من الذهب لإنفاقها على تجييش الناس واستئجار الأحابيش لقتال محمد والمسلمين..

«يتصايح القرشيون موافقين.. يستحسنون ما يقال، ويتسابقون فى إبداء استعدادهم للإنفاق للتجهز للخروج إلى المدينة لغزو محمد وقتال المسلمين!!».

* * *

«المدينة.. وقد كشف الله تعالى لنبيه والمسلمين ما تزمعه قريش وتدبر وتجهز له.. يتناهى إلى النبى عليه السلام ما يبذله أبو سفيان ومشركو قريش

من أموال لاستئجار الأحابيش وتجييش العرب لغزو المدينة.. النبى ﷺ فى خلوته يناجى ربه ويبتهل إليه.. يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الأنفال الآيات من ٣٦ - ٤٠].

(يرتفع الوحى)

* * *